

## الفصلُ الثالثُ

### شيوخه وتلاميذه

- شيوخه ورأيه فيهم .
- تلاميذه ورأيه فيهم .
- البهي وموقفه من القيم .
- تكوين الأحزاب في مصر وموقفه منها .



## المبحث الأول

### شيوخه ورأيه فيهم

إضافة إلى تأثر «البهى» بجهود والديه ، وجهادهما في سبيل تربيته وتعليمه ، فقد تأثر - أول الأمر ، أثناء دراسته في معهد الإسكندرية الديني - بعدد من المدرسين المرموقين ، الذين تتلمذ على أيديهم ، فاستفاد كثيراً من غزارة علمهم ، وسعة فهمهم ، وحسن تربيتهم وتوجيههم .

يُشيد في مآثر أساتذته ، قائلاً : (يَجِبُ أَنْ أذْكَرَ أَنْ ثَلَاثَةً - [ مِنْ الْمُدْرَسِينَ ] فِي مَعْهَدِ إِسْكَندَرِيَّةَ - عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ ، كَانَ لَهُمْ أَثَرٌ إِجْبَابِيٌّ فِي فَهْمِي لِلْكِتَابِ الْأَزْهَرِيِّ ، وَهُمْ : الشَّيْخُ « حَامِدُ مُحْسِنٌ » ، وَالشَّيْخُ « مَحْمُودُ شَلْتُوتُ » ، وَالشَّيْخُ « الْحُسَيْنِيُّ سُلْطَانُ » ، وَكَانُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْفَهْمِ الْمُنْظَمِ ، وَالنَّقْدِ السَّلِيمِ لِمَا يَعْضُونَهُ مِنْ مَعْرِفَةٍ )<sup>(١)</sup> .

لا جرم إن اختزان ذهنه ، لهذه الذكريات منذ ذلك الزمن البعيد ، إنما يكشف مدى تأثره ، بتصورات تلك البيئة المتوهجة بالإشراق العلمي ، أما الشيوخ الذين أثروا قاموسه العلمي واللغوي ، وتأثر بنزاهتهم ، وكريم خصالهم ، لا سيما في فترة دراسته الأزهرية ، فإنه شديد الحرص على توقييرهم وتقديرهم ، وإطرائهم بما هم له أهل فيقول : ( وَيَجْدُرُ بِالذِّكْرِ : أَنَّ الشَّيْخَ « عَبْدَ الْمَجِيدِ سَلِيمٍ » أَحَدُ ثَلَاثَةٍ مِنْ شُيُوخِ الْأَزْهَرِ ، فِيمَنْ خَيْرَتْ ، لَمْ يَعْرِفْ

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص ٣١ .

تاريخ الأزهر ، منذ الحرب العالمية الأولى ، مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ حِرْصاً عَلَى كَرَامَةِ الْوِظِيفَةِ ، وَمَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ احْتِفَافاً بِوَقَارِهِ وَهَيْبَتِهِ .

أَمَّا الْاِثْنَانِ الْآخِرَانِ فَهُمَا : الشَّيْخُ « مُحَمَّدُ مُصْطَفَى الْمِرَاغِي » ، وَالشَّيْخُ « مُصْطَفَى عَبْدِ الرَّازِقِ » . . . فَالشَّيْخُ « الْمِرَاغِي » عُرِفَ بِدِهَائِهِ وَبِحُكْمَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ ، وَالشَّيْخُ « مُصْطَفَى » عُرِفَ بِتَهْذِيبِهِ وَحَيَاتِهِ ، وَالشَّيْخُ « عَبْدِ الْمَجِيدِ » عُرِفَ بِصِدْقِ إِيمَانِهِ وَطِيبَةِ قَلْبِهِ . وَكُلُّ مِّنَ الثَّلَاثَةِ كَانَ مُقَدَّرًا بَيْنَ رَجَالَاتِ مِصْرَ ، وَمُفَكَّرِيهَا وَعُلَمَائِهَا ، كَمَا كَانَ مُقَدَّرًا خَارِجَ مِصْرَ ، وَكُلُّ مِنْهُمْ كَانَ كَرِيمَ النَّفْسِ وَالْيَدِ (١) . مِّنْ أَشْهَرِ أَسَاتِذَتِهِ أَيْضاً الَّذِينَ يَعْتَزُّ بِهَمْ ، وَيُعْجَبُ بِإِخْلَاصِهِمْ وَوَفَائِهِمْ لِلْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ : أَسَاتِذُ الْبَلَاغَةِ (٢) ، « الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْخَضِرُ حَسِينِ » فِي قِسْمِ التَّخْصُّصِ ، الَّذِي أُنْشِئَ فِي سَنَةِ ١٩٢٥ م ، ثُمَّ اسْتَلَمَ فِيمَا بَعْدُ وَظِيفَةَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ لِلْأَزْهَرِ ، فَكَانَ مِنْ أَمَثَلِ الْعُلَمَاءِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ عَمِلَ رَئِيساً لِّجَمْعِيَّةِ الْهَدَايَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ وَمُدِيرًا لِمَجَلَّتِهَا . كَانَ أُسْلُوبُهُ فِي الْمَجَلَّةِ يَتَمَيَّزُ بِالْوَضُوحِ ، وَالْمَنْطِقِ ، وَالْإِيمَانِ .

يُصَوِّرُ « الْبُهِّي » - بِمَهَارَةٍ حَادِقَةٍ - مَوْقِفًا إِيمَانِيًّا ، مُفَعِّمًا بِالتَّقْوَى وَالْإِخْلَاصِ ، لِأَسَاتِذِهِ وَشَيْخِهِ ، فَيَقُولُ : ( لَمْ يَتَزَلَّفْ يَوْمًا لِحَاكِمٍ . . . وَلَمْ يُهَادِنْ أَوْ يُنَافِقْ إِطْلَاقًا فِي إِعْلَانِ كَلِمَةِ الْحَقِّ ، عَرَفْتُهُ فِي حَيَاتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ فِي مَسْكَنِهِ ، وَفِي عَيْشَتِهِ ، عَرَفْتُهُ يَوْمَ كُنْتُ طَالِبًا ، وَكَانَ هُوَ أَسَاتِذًا لِلْبَلَاغَةِ ، فِي قِسْمِ التَّخْصُّصِ الَّذِي تَخَرَّجْتُ فِيهِ ، عَرَفْتُهُ شَيْخًا لِلْأَزْهَرِ ، وَأَنَا أَبَاشِرُ الْعَمَلِ فِي مُرَاقَبَةِ الثَّقَافَةِ ، بِإِدَارَةِ الْأَزْهَرِ ، رَأَيْتُهُ قَبْلَ [ أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ لِلْأَزْهَرِ ] ، [ وَأَثْنَاءَ الْوِظِيفَةِ ] ، وَبَعْدَهَا ، [ فَبَقِيَ كَمَا هُوَ ، لَمْ تُغَيِّرْهُ الْمَنَاصِبُ ] عَرَفْتُهُ الزَّاهِدَ ، الْمُتَقَشِّفَ ، الْوَرِعَ ،

(١) مُحَمَّدُ الْبُهِّي : حَيَاتِي فِي رِحَابِ الْأَزْهَرِ ، طَالِبٌ . وَأَسَاتِذٌ . وَوَزِيرٌ ، ص ٦٠ .

(٢) عُرِفَ بِالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ ، انظُرْ ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ، ص ٦٢ .

ولا أنسى موقفه عندما نُشرَ بالصحفِ : [أَنَّ] الحكومةَ تَعزِمُ على تَعْدِيلِ قانونِ هيئةِ كبارِ العلماءِ بالأزهرِ .

حَضَرَ [الشيخُ «الخَضْرُ حُسَيْنٌ»] إلى إدارةِ الأزهرِ مُبَكِّراً . . . فأخْرَجَ مَكْتُوباً مِنْ جَيْبِهِ ، وَقَالَ : اقرأَ هذا الخطابَ . وإذا بِهِ خطابٌ مُوجَّهٌ إلى رئيسِ الجُمهوريَّةِ ، يُقدِّمُ فِيهِ استقالتهُ : احتجاجاً على تَدخُلِ الحكومةِ في شُئونِ الأزهرِ ، بِلُغَةٍ لا تَعوزُها الصِّراحةُ . وبإيمانٍ لا يَقْبَلُ التَّرَدُّدَ بحالٍ . وبِعزيمةٍ صادقةٍ لا تعرفُ المُناورَةَ . . . وشكرتُ له غَيْرَتَهُ على الأزهرِ وكِرامَةِ العلماءِ . وَرَأَتْ فِيهِ الحكومةُ قُوَّةً لا تَسْتَطِيعُ مَعَهَا أَنْ تُقدِّمَ على أيِّ تَغْيِيرٍ في الأزهرِ ، طالما الشيخُ في وظيفتِهِ ، فَقَبِلَتْ استقالتهُ<sup>(١)</sup> .

يَمْتَدِحُ «البهيُّ» إِذَا شَبَّوْهُ ؛ لِأَنَّهُ يَعْتَرِزُ بِمَأْتِرِهِمْ . يُسَاعِدُهُ - فِي ذَلِكَ - نَشَاطُ ذَاكِرَتِهِ ثُمَّ قُوَّةُ عَزِيمَتِهِ ، وَحِرْصُهُ على خُلُقِ الوَفَاءِ ، لِمَنْ هُمْ أَهْلٌ لِلوَفَاءِ . يَدْفَعُهُ فِي هَذَا الاتِّجَاهِ : حُبُّهُ وَتَقْدِيرُهُ لِلعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ ؛ لِأَنَّ العِلْمَ رَحِمٌ بَيْنَ أَهْلِهِ . أَمَّا حَافِزُهُ وَرَائِدُهُ فِي هَذَا المَجَالِ : هُوَ حَسَنُ الاقْتِدَاءِ وَالتَّأْسِيِ بِالرَّسُولِ الكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، الَّذِي يُحذِّرُ مِنَ اضمحلالِ العِلْمِ وَقَلْبَتِهِ ، نَاهِيكَ عَنِ اقْتِرَابِ دَهَابِهِ وَنَفَادِهِ ؛ نَظراً لِانقباضِ العُلَمَاءِ بِالموتِ ، لِذَلِكَ جَاءَ الأَمْرُ بِإِفْشَاءِ العِلْمِ وَنَشْرِهِ ، وَمُدَارَسَةِ أَرْبابِهِ ، وَمُسَاعَدَةِ طُلَّابِهِ ، فَإِنَّ العِلْمَ لا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرّاً . عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ العَاصِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] قَالَ : سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِماً ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءوساً جُهالاً ، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»<sup>(٢)</sup> .

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) أحمد بن علي بن حجر المسقلاطي (٧٧٣-٨٥٢هـ) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لا . ط ، ١٣٧٩هـ ، رقم الحديث (١٠٠) ، ١٩٤/١ .

حَدَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، مِنْ كِثْمَانِ الْعِلْمِ ؛ لِأَنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أخطارٌ جسيمةٌ ،  
منها : ضياعُ الحقوقِ ، انتشارُ الظلمِ ، والحكمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ تعالى . ثُمَّ  
تَنَفَّسَى الجريمةُ ، وتَشِيحُ الرَّذيلةُ ، وَيَهْلِكُ الحَرثُ والنَّسْلُ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سئِلَ عَنْ عِلْمٍ  
عَلِمَهُ ، ثُمَّ كَتَمَهُ ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ »<sup>(١)</sup> .

مِنْ مُنْطَلَقِ الْعِبَادَةِ أَحَبُّ « الْبِهِيِّ » الْعِلْمَ وَنَبَغَ فِيهِ ، فَكَانَ مَحَطُّ إِعْجَابٍ  
وَتَقْدِيرٍ مِنْ جَمِيعِ شُيُوخِهِ وَأَسَاتِذَتِهِ<sup>(٢)</sup> .

استفادَ مِنْ المُرَاقِبِ العامِّ للعلومِ الأدبيةِ<sup>(٣)</sup> والرياضيةِ ، بإدارةِ المعاهدِ  
الدِّينيةِ . وَمِنْ شُيُوخِهِ<sup>(٤)</sup> الَّذِينَ تَأَثَّرَ بِهِمْ تَأَثُّراً مُباشِراً ، فَكَانَتْ لَهُ مَعَهُمْ صِلَاتٌ  
مُتَوَعِّدَةً ، أَفَادَتْ فِي تَشْكِيلِ رُؤْيَيْهِ الفِكريةِ ، وَبِنَائِهِ العَقْلِيَّ الاجْتِماعيَّ ، وَحِسَّهُ  
الوَطْنيَّ ، وَتَرْبِيَتِهِ الثَّقَافِيَّةَ الرُّوحِيَّةَ .



(١) محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي « ٢٠٩-٢٧٠ » ، مختصر سنن الترمذي :  
اختصره وشرح جملة وألفاظه وعلّق عليه ، مصطفى ديب البغا ، اليمامة للطباعة  
والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، رقم الحديث « ٢٦٥١ » ، ص ٣٩٠ .

(٢) من هؤلاء الأساتفة والمشايخ : « عبد المجيد اللبان » ، « علي النجار » ، « أمين  
الخولي » ، « يوسف نجاتي بك » ، « علام سلامة » ممن أشادوا في نبوغ « البهي »  
والتزامه بالخط الإسلامي في مصنفاته ، انظر : محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ،  
طالب . وأستاذ . ووزير ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) الأستاذ هو : « خالد بك حسنين » ، أشار على « البهي » أن يوجّل سفره إلى ألمانيا ،  
حتى بعد الامتحان النهائي للتخصص ، [لكي يحصل] على شهادته ، وفعلاً أجّل  
السفر إلى آخر سبتمبر سنة ١٩٣١م . انظر ، المرجع السابق ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٤) الشيخ « إبراهيم الجبالي » كان عضواً في لجنة البعثات الخارجية ، في عابدين  
بالقاهرة ، سنة ١٩٣١م ، والأستاذ « أمين سرور » كان معلماً لمادة علم المعاني في  
معهد الإسكندرية ، واستفاد « البهي » من أسلوبه وتعامله مع الطلاب . انظر ، المرجع  
السابق ، نفسه .

## المبحث الثاني

### تلاميذه ورأيه فيهم

استمر «البهّي» - على مدى ما يقاربُ نصفَ قرنٍ مِنَ الزَّمانِ - أستاذاً جامعياً مرموقاً ، وعالماً جليلاً فاضلاً ، ومُفكراً عميقاً مُخلصاً . كانَ رحمَهُ اللهُ تعالى مُهتماً بتربيةِ جيلٍ مُتكاملٍ ، يقومُ على مبادئِ الإسلامِ ، يعتقدُ بأركانِ الإيمانِ ، الذي يُبنى على الرُّوحيةِ في توجيهِ الناشئةِ ، (ولكنَّ التفكيرَ الماديَّ للقرنِ التاسعِ عشرَ والقرنِ العشرينِ، اشتدَّ وقسا على الرُّوحيةِ، وصوَّرها - بأنَّها - مُتخلِّفةٌ ورجعيةٌ . ثمَّ شَحَنَ كلمةَ الرُّجعيةِ بكلِّ ما يُنفِّرُ الشَّبابَ ، مِنَ الاتِّصالِ بالرُّوحيةِ ، والوقوفِ على قيمَتِها كمصدرٍ للتهذيبِ البشريِّ ، وكعاملٍ في تبليغِ الإنسانِ المُتطوِّرِ ، إلى مُستواه الرِّفيعِ وهو مُستوى الرُّشدِ والنُّضجِ ، واستغلَّ في صرْفِ الشَّبابِ عنِ الرُّوحيةِ ، أخطرَ وأقوى غريزةٍ كامنةٍ فيه ، وهي الغريزةُ الجنسيَّةُ . تكوَّنَ عنْ هذا التفكيرِ الماديِّ [ما يُعرفُ] : بالأدبِ الجنسيِّ ، والفلسفةِ الجنسيَّةِ ، والتربيةِ الجنسيَّةِ ، . . . تفكيرٌ يركِّزُ أهدافَ الإنسانِ في نطاقِ الحيوانيةِ ، حتَّى يهدِرَ القيمَ الإنسانيَّةَ ، التي تُمثِّلُها حضارةُ الإنسانِ في تاريخهِ الطَّويلِ ، ومِنْ ثمَّ يرسمُ قيماً أُخرى بدلَها) (١) .

كانَ «البهّي» يُحبُّ الطالبَ النُّبيةَ ، يقفُ إلى جانبِهِ بالرُّعايةِ والاهتمامِ ، بغضِّ النَّظرِ عَنِ المقاييسِ الوضعيةِ الوضعيةِ ، كاللونِ أو الجنسِ أو الوطنِ . يتعاملُ مَعَ طلابِهِ بأريحيةٍ وشفافيةٍ ، يعتزُّ بفضيلةِ الذِّكْرِ الفطينِ مِنْهُم ، ويشاركُهُم في نشاطاتِهِم . يذكرُ ذلكَ باعتزازٍ ، فيقولُ : ( . . . كُنْتُ قدِ اشتركتُ

(١) محمد البهي : أثر الروحية في توجيه الشباب ، ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

مَعَ تلميذني<sup>(١)</sup> في [إعداد] محاضرة عن صِلَّة الأزهر الثقافيَّة الخارجِيَّة . ألقاها أستاذنا وشيخنا<sup>(٢)</sup> باعتبار أنه كان مُراقباً عاماً للبحوثِ والثقافةِ بالأزهر ، [تحت رِعايةِ مديرِ مكتبِ رئيسِ الجمهورِيَّةِ]<sup>(٣)</sup> في ذلكِ الوقتِ ، [بمناسبةِ] مؤتمرِ المُستشارِيْنَ الثقافيِّينِ المصريِّينِ في الخارجِ ، [وقد تَرَكْتَ] انطباعاً طيباً ، في نفوسِ الحاضرينِ جميعاً<sup>(٤)</sup> .

كانتْ مِنْ وصاياهِ لأبنائِهِ الطُّلابِ ، في كُليَّاتِ الأزهرِ المُختلفةِ ، أن يتعلَّموا اللُّغاتِ الأجنبيَّةَ ، بالإضافةِ إلى التَّخصُّصِ الرَّئيسِ . حَمَلَهُ ذلكَ فيما بعدُ على إعدادِ دراساتٍ في اللُّغةِ الإنجليزيَّةِ والألمانيَّةِ ، عندما تولَّى إدارةَ الثقافةِ بالأزهر الشَّريفِ .

أما الذي زادَهُ إصراراً على هذا التَّوجُّهِ ، هو ما شاهدَهُ مِنْ مُمارساتٍ ، ضيَّدَ الإسلامَ لا سيما تجاهَ الطُّلابِ المُسلمينِ ، في جامعةِ «ماكجيل» في مدينةِ «مونتريال بكندا» ، في سنةِ ١٩٥٥-١٩٥٦ م . يَصِفُ تلكَ المُشاهداتِ قائلاً : (قد قُمتُ بتدريسِ الحركاتِ الإسلاميَّةِ المُعاصرةِ ، فيما يُسمَّى «بمعهدِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ» ، المُلتحقِ بكلِّيَّةِ اللاهوتِ «بمونتريال» ، وقد أشفقتُ على نفسي . . . مِنْ أن أموتَ حُزناً على ما يُباشِرُهُ المُستشرقونَ ضدَّ الإسلامِ ، في

---

(١) تلميذه هو : المرحوم الدكتور «حمودة عبد العاطي» وكان يتقنُ اللُّغةَ الإنجليزيَّةَ ، ساعدَ في ترجمةِ النَّقدِ الذي قَلَمَهُ «البيهي» عن معهدِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ ، المُلتحقِ بكلِّيَّةِ اللاهوتِ ، في جامعةِ «ماكجيل» في كندا ، سنة ١٩٥٥/١٩٥٦ م . انظر ، محمد البيهي : حياتي في رِحابِ الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص ٦٤-١٢٧ .

(٢) أستاذنا وشيخنا هو : الشَّيخُ «محمود شلتوت» قبلَ أن يتمَّ تعيينُهُ وكيلًا وشيخًا للأزهرِ . انظر ، المرجعِ السابقِ ، ص ٦٤ .

(٣) هو السيد «علي صبري» مديرِ مكتبِ الرَّئيسِ «جمال عبد الناصر» في الجمهورِيَّةِ العربيَّةِ المتحدَّةِ ، بعد ثورة ١٩٥٢ م ، انظر ، المرجعِ السابقِ نفسه .

(٤) المرجعِ السابقِ نفسه .

الغرب والشرق على السواء ، [فالدراسات الإسلامية في ذلك المعهد] عبارة عن مسرح ، تمثل عليه : خرافة الإسلام . . . وتناقضات المبادئ في القرآن . . . واللاإنسانية واللاحضارة للمجتمع الإسلامي . يُجلب الطلبة [إليه] من البلاد الإسلامية ، ويختارون من أصحاب التفوذ في المستقبل : من الفرق الصوفية المنتشرة ، والأسر العريقة في الإسلام والإيمان به ، كما يدعي المدرسون والأساتذة [هناك] (١) .

إن أول أمر قام « البهي » به - بين طلابه المسلمين في « كندا » - أنه عقد لهم اجتماعاً ، أحب أن يظهر فيه شخصية المسلم ، من خلال إقامة صلاة الجمعة ، في قاعة من قاعات المعهد ، ثم تكوّنت من الطلاب جمعية ، اتصلت بالمسلمين المقيمين في « مونتريال » ، وأدوا صلاة عيد الفطر في صعيد واحد ، فأمسى له الفضل في كشف ما يخفيه أعداء الإسلام ، وراء العلم والمنهج العلمي ، لمحاربة الإسلام والمسلمين ، فالمجموعة المختارة من الطلاب في ذلك المعهد ، محاصرة بما يقدم لهم من أباطيل عن الإسلام باسم العلم . لذا كانت الحال ملحّة لكوادر مؤمنة ، تفقه لغة القوم وتقرؤها ؛ لتعي وتفهم ما يكيلونه من اتهامات خطيرة لدين الإسلام ، وتقارعهم حجة بأخرى ، وترد على اتهاماتهم الباطلة .

أما آية تدرسيه فقد عرفت بين الطلاب ، بأنها تقوم على الإتيان والتميز ، بأسلوب البحث العلمي الذي يعتمد على : الملاحظة ، ثم التجربة ، فالخبرة السابقة ، وتقصي المعرفة ، والمرونة في المناقشة ، فتجده يقول : (وسرت في تدريسي على أساس أنني لا أحضر للمحاضرة ، إلا إذا كنت متقناً تماماً للموضوع . فإذا صادف ولم أستوعب الموضوع كله ، أجلت الحضور لوقت

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص ١٢٧ .

آخرَ ، وربما استفذتُ مِنْ تَجْرِبةِ الشَّيخِ «أمين سرور» ، في الإسكندريةَ ، فيما اخترتهُ . . . لنفسي في أسلوبِ التَّدريسِ ، [ ولهذا عاشَ بينَ طُلابِهِ في غايةِ المحبَّةِ والاحترامِ ] ، كما سِرْتُ في أسلوبِ الامتحانِ ، آخرَ العامِ على أنْ مَنْ هُوَ دُونَ المتوسِّطِ مِنَ الطُّلابِ في الامتحانِ ، يُعطى فُرصةً أُخرى للمُراجَعَةِ مُدَّةَ أشهرِ الصَّيفِ ، على أنْ يُعيدَ الامتحانَ في الدَّورِ الثَّاني<sup>(١)</sup> .

نظراً لأسلوبِهِ هذا في الامتحانِ ، عُرِفَ عندَ بعضِ الطُّلابِ بالشَّدَّةِ . في الواقعِ أنَّها لم تكنْ شِدَّةً ، إمَّا كانتْ في مصلحةِ الطُّلابِ أَنفُسِهِمْ ، فلم يَرِدْ أنْ يخذلَهُمْ ، لاسيَّما أنَّه يقومُ بإعدادِهِمْ لتجربةِ الحياةِ في المُستقبلِ ؛ لكي يكونوا أُمناً على ما استأمنَهُمْ عليه دينُهُمْ ، ألا وهو كتابُ اللهِ وسُنَّةُ رسولهِ ﷺ ، فهماً وتطبيقاً عملياً . رشَّحَ «البهي» زُمرَةً مِنْ طُلابِهِ<sup>(٢)</sup> إلى الدَّراسةِ الجامعيَّةِ في الغربِ ، خاصَّةً إلى «ألمانيا ، كندا ، ولندن» .

كانَ مِنْ أشهرِهِمْ «محمود حمدي زقزوق» الذي أصبحَ وزيراً للأوقافِ المصريَّةِ عام ٢٠٠٧م . إذ كانَ مُخلصاً جليلاً لأستاذهِ «البهي» . مِنْ الأدلَّةِ على وفائِهِ وإخلاصِهِ ، أنَّه عمِلَ احتفاءً قِيماً في المركزِ الإسلاميِّ في «كندا» ، على شرفِ أستاذهِ ، بمُناسبةِ اختيارِهِ مُربيّاً فاضلاً ، في تلكَ البلادِ .

\* \* \*

---

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . وزير ، ص ٤٧ .  
(٢) كان من هؤلاء الطلاب الذين رشَّحهم «البهي» ، للدراسةِ في الغربِ ، واقتبسوا شيئاً من الثقافة الغربيَّةِ : «محمود حمدي زقزوق» ، «توفيق محمد شاهين» ، عبده الخولي» ، «محمد شامه» ، «توفيق برج» ، «هشام نشابة» ، «حمودة عبد العاطي» ، «محمد بيوشي» ، «محمد الزنكلوني» ، وأما «عبد الحميد محمود» ، «وعبد العزيز عيسى» فهما كانا يُكثران من زيارتهِ ، لكنهما توفيا قبله . انظر ، محمد فهم غيث : زيارة خاصة ومقابلة شخصيَّة للباحث ، ٢٣ مايو ٢٠٠٧ .

## المبحث الثالث

### البهيُّ وموقفه من القيم

موقفه الحياتية كثيرة وغنية بالتجربة الميدانية ؛ لأنه أسندت إليه عدة مناصب قيادية ، فأبلى شبابه بالعلم الغزير ، يدافع خصومه بالحجة الدامغة ، والحكمة البالغة ، كما أفنى عمره في سبيل الله يدعو إليه على بصيرة . الإسلام لُحْمَتُهُ وسداه ، مبدؤه ومنتهاه . البهيُّ رجلٌ مواقف ، مهما يكلفه ذلك من تضحيات ومكابدات ، وشى به الواشون يوماً ، في مجلس رئيس الجمهورية<sup>(١)</sup> الخاص (فشهد له الرئيس عبد الناصر ، بمواقفه التي تتسم بالحق ، وإنه رجلٌ علم فقط ، وليست له صيغة حزبية ، فلم يكن شرقياً ولا غربياً . بالرغم من اختلافهما : [أي الرئيس ، والبهيُّ] في وجهة النظر السياسية)<sup>(٢)</sup> . عاش حياته تزيهاً ، يترفع عن الدنيا والسقطات المادية . يُقدِّم المصلحة العامة على المصالح الشخصية ، يُحبُّ القيم العليا ، فتراه يناضل من أجل الثبات على دينه ومبادئه الإسلامية .

تظهر هذه الروحانية السامية جلياً ، عندما ساومته السفارة الأمريكية في القاهرة ، ساعة إلى حذف ما جاء في أحد مؤلفاته ، خاصة ما يتعلق

(١) رئيس الجمهورية في ذلك الوقت هو : جمال عبد الناصر ، حيث كان والله « حسين عبد الناصر » يزور « البهي » في بيته ، بل ويتردد عليه كثيراً . انظر ، محمد فهم غيث : زيارة خاصة ومقابلة شخصية للباحث .

(٢) المرجع السابق نفسه .

بالمُستشرقين والمُبشرين ، وبيّن ما جرى في تلك المُساوَمَةِ ، الرّخيصةِ الهابطةِ ، قائلاً : (فاتصلتُ بي السّفارةُ ، عن طريق المُستشارِ الثّقافيِّ ، في سنة ١٩٦٢م ، وأبلغتني : أن مجلسَ التّعليمِ الأمريكيِّ قد اختارَ [كتابك<sup>(١)</sup>] لترجمتهِ إلى اللّغةِ الإنجليزيّةِ ، وقال : إنَّ المجلسَ سيدفعُ مبلغَ ستّةِ آلافِ دولارٍ ، حقّاً الترجمةِ في حالةٍ واحدةٍ ؛ وهي أن تحذفَ الفصولَ الخاصّةَ ، بالمُستشرقين والمُبشرين فيه . فذكرتُ له : أن الكتابَ : كتابٌ وليس عملاً تجاريّاً . فإن كانت فيه أخطاءٌ علميّةٌ ، فأنا على استعدادٍ لتلافيتها في طبعةٍ قادمةٍ ، . . . وطبعاً لم يتمّ اتفاقٌ ؛ لأنّ المقصودَ كان لإظهارِ المؤلّفِ بمظهرِ الضّعيفِ .  
عندما يصدرُ كتابه باللّغةِ الإنجليزيّةِ ، يقولُ شيئاً يُناقضُ ما سبقَ أن ذكره باللّغةِ العربيّةِ)<sup>(٢)</sup> .

بقي صامداً كالطودِ الأشمِّ ، فلم تَلِنْ لَهُ قناةً ، وما ضَعُفَتْ لَهُ شَكِيمَةٌ ، لكنّه سارَ ضارباً عرضَ الحائطِ بكلِّ الضُّغوطِ المُختلفةِ ، مُقاوماً جميعَ الإغراءاتِ الماديّةِ ، لأنّ هدفه يتمثّلُ في الكشفِ عن القيمِ الإسلاميّةِ ، وصلاحيتها في كلِّ مكانٍ وزمانٍ ، لكي تستمرَّ شامخةً أمامَ التّيّاراتِ الماديّةِ المسنُورةِ ، لاسيما في المجتمعاتِ المعاصرةِ .

ما كان «البهّي» لينتصِرَ لنفسه أبداً ، إنّما يُقابلُ: الإساءةَ بالحُسنى والإحسانَ ، ومن الأمثلةِ في هذا الجانبِ : أنّه عندما كانَ مُديراً لجامعةِ الأزهرِ الشّريفِ ،

(١) اسم الكتاب : «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» ، وهو مواجهةٌ مباشرةٌ لتيّاراتِ فكريّةٍ ، مستترةٍ وراءَ عناوينِ خادعةٍ ، وهي في جوهرها محاولاتٌ عنيفةٌ لفصل المسلمين عن دينهم . انظر ، محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث . . . وصلته بالاستعمار الغربي ، ص ٥ .

(٢) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . . . أستاذ . . . ووزير ، ص ١٣٠ .

طُلبَ إليه أن يُرشحَ أحدَ الأساتذةِ ممنُ يُجيدونَ اللُّغاتِ الأجنبيَّةَ ، ليكونَ مُديراً للمركزِ الإسلاميِّ في واشنطن ، فرشحَ أحدهمُ<sup>(١)</sup> ممنُ تنطبقُ عليه مواصفاتُ الوظيفةِ ، ولَمَّا جاءتِ الموافقةُ على تعيينه ، قَدِمَ الرَّجُلُ قَبْلَ سَفَرِهِ ؛ لِيُسَلِّمَ على «البهيِّ» وَيَشْكُرَهُ على موقفِهِ النَّبيلِ ، فدارَ بينهما الحوارُ التَّالِي : (..... عندئذٍ رَغِبَ في رؤيتي قَبْلَ السَّفَرِ ، . . . وذكَّرتُهُ . . . [أَنَّهُ أَصْبَحَ أَخاً] يُشَارِكُ في مسئوليةِ الرِّسالةِ الإسلاميَّةِ . فأجابَ بأنَّهُ مدينٌ لي . . . بنقله من درجةِ أستاذٍ مُساعدٍ إلى درجةِ أستاذٍ ، وقد حُرِّمَ منها لسببِ طائفيٍّ ، وبتعيينه عميداً لكليةِ اللُّغةِ العربيَّةِ ، ثم بترشيحيهِ مُديراً للمركزِ الإسلاميِّ بواشنطن ، رغم أني - مستطردٌ في القولِ - كنتُ أسهمُ في نشرِ إشاعاتٍ كاذبةٍ عنك ، وكان يصلُّك الأمرُ<sup>(٢)</sup>).

أجابهُ «البهيُّ» بكلِّ شفافِيَّةٍ وأريحيَّةٍ ، بأنَّهُ تمَّ اختيارُهُ بناءً على الخصائصِ الذَّاتِيَّةِ ، العلميَّةِ والعملِيَّةِ التي تتوفرُ فيه ، على حدِّ سواءٍ ، وليسَ لرغبةٍ شخصيَّةٍ ألبتَّةَ ، فبكى متأثراً واستأذَنَ في الخروجِ مِنَ المَكْتَبِ .

مِن مآثرِهِ القِيَمِيَّةِ التي يُشارُ إليها بالبَّان ، حَمَلَهُ لواءَ التَّجديدِ في ترقيةِ الأساتذةِ الأزهرِيِّينَ ، حيثُ كانتُ سابقاً تقومُ على الأقدميَّةِ ، فأصبحَ يعتمدُ البَحْثَ العلميَّ ، والمشاريعَ التَّربويَّةَ ، ومبدأ الإنتاجِ في سُلْمِ التَّحفيزِ والتَّرقِياتِ الأُفقِيَّةِ ، مَعَ أَنَّ أَكثَرِيَّةَ الأساتذةِ ، أعلنوا عَدَمَ الرِّضا عن هذا النِّظامِ ، إلا أَنَّهُ ظلَّ على رأيه الإبداعيِّ ، حِفاظاً على سُمعةِ جامعةِ الأزهرِ ، وتأكيداً لمُسْتواها العلميِّ بينَ جامعاتِ العالَمِ .

(١) المقصود بأحدهم هو الدكتور : «عبد الحليم النَّجَّار» كان زميلاً «للبيِّ» أثناء دراسته بألمانيا ، عام ١٩٣٢م . انظر ، محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص ١١٣ .

(٢) المرجع السابق ، نفسه .

عُرِفَ رَحْمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَانَ يَنْتَصِرُ لِدِينِ اللهِ ، رَأَى مَا أَذْهَلَهُ ذَاتَ يَوْمٍ ،  
عِنْدَمَا كَانَ فِي جَوْلَةٍ تَفْتِيشِيَّةٍ مُفَاجِئَةٍ ، لِإِحْدَى مَدَنِ الْوَجْهِ الْقِبْلِيِّ<sup>(١)</sup> مِنْ أَقْصَى  
الصَّعِيدِ ، وَكَانَ الْوَقْتُ ظُهْرًا ، فَتَوَجَّهَ لِتَأْدِيَةِ الصَّلَاةِ فِي أَحَدِ الْمَسَاجِدِ الْقَرِيبَةِ ،  
فَشَاهَدَ رَجُلًا جَالِسًا عَلَى مَنَصَّةٍ قَارِئِ السُّورَةِ ، يَحْمِلُ فِي إِحْدَى يَدَيْهِ مِغْزَلًا ،  
وَفِي الْأُخْرَى صَوْفًا يَغْزُلُهُ ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَإِذَا بِعَجْبِهِ يَزْدَادُ ، فَمَا قَامَ الرَّجُلُ  
ذُو الْمِغْزَلِ مِنْ مَكَانِهِ ، بَلْ أَقَامَ الصَّلَاةَ جَالِسًا وَهُوَ لَا يَزَالُ يَغْزُلُ الصُّوفَ  
بِمِغْزَلِهِ ، وَبَدَأَ الْإِمَامُ الصَّلَاةَ ، فَكَبَّرَ تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ ، ثُمَّ رَكَعَ وَقَامَ وَسَجَدَ ، وَأَتَمَّ  
الصَّلَاةَ وَتَبِعَهُ الْمُصَلُّونَ إِلَّا ذَلِكَ الرَّجُلَ الْبِغْيَاءَ ، بَقِيَ يُرَدِّدُ مَا يَسْمَعُ مِنْ تَكْبِيرِ  
وَتَحْمِيدِ وَتَسْلِيمِ بِصَوْتٍ مُنْعَمٍ مَمْغُوطٍ ، دُونَ أَنْ يَشْتَرِكَ فِي الصَّلَاةِ أَوْ يَكْفَأَ عَنْ  
غَزْلِ صَوْفِهِ ، انْتَهَتْ الصَّلَاةُ وَأَتَّجَهَ « الْبَهِيُّ » إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي أَمَّ الْمُصَلِّينَ ، فَإِذَا  
بِهِ الْبِقَالُ الْمَجَاوِرُ لِلْمَسْجِدِ ، وَسَأَلَ عَنِ الرَّجُلِ صَاحِبِ الْمِغْزَلِ ، فَإِذَا بِهِ مُقِيمُ  
الشَّعَائِرِ بِالْمَسْجِدِ ، وَمَا أَنْ عَلِمَ الرَّجُلُ أَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْ وَزِيرِ الْأَوْقَافِ ، تَبَدَّلَ  
الْحَالُ عِنْدَهُ وَسَقَطَ الْمِغْزَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَهَبَّ وَاقْفَأَ مِمَّا جَعَلَهُ يَتَعَثَّرُ بِجَلْبَابِهِ  
حِينَ أَرَادَ الْهَبُوطَ مِنَ الْمِنَصَّةِ ؛ لِأَنَّهُ الْآنَ بَيْنَ يَدَيْ الْوَزِيرِ ، وَنَسِيَ أَنَّهُ كَانَ مِنْذُ  
لِحِظَاتٍ فِي حَضْرَةِ اللهِ أَثْنَاءَ الصَّلَاةِ يَلْهُو وَيَعْبَثُ .

طَلَبَ الْوَزِيرُ سَجْلَ الْحُضُورِ وَالْإِنْصِرَافِ (لِيُكْتَشَفَ فِيهَا تَزْوِيرًا ... فَأَمَامُ  
الْمَسْجِدِ لَا يَوْقَعُ إِلَّا دَفْعَةً وَاحِدَةً فِي نَهَايَةِ الشَّهْرِ ، ... وَلِمَاذَا لَا يَطْمئنُّ وَيَسْتَرِيحُ  
بِأَلِّهِ ، وَالْمَسْجِدُ لَمْ يَزُرْهُ مُفْتَشٌّ وَاحِدٌ مِنْذُ شَهْرٍ ، [أَمَرَ الْوَزِيرُ] بِفَصْلِ مُقِيمِ  
الشَّعَائِرِ ، حَتَّى يُتَبَّحَ لَهُ . . . غَزَلَ صَوْفِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَهْزَلَ . . . فِي شَعَائِرِ اللهِ  
تَعَالَى ، وَنَقَلَ الْإِمَامَ الْمُزَوَّرَ مِنْ أَقْصَى الصَّعِيدِ ، حَيْثُ يَسْكُنُ إِلَى إِحْدَى  
مُحَافَظَاتِ السَّاحِلِ الشَّمَالِيِّ ، [وَأَوْقَعَ] الْجَزَاءَ الْمُنَاسِبَ عَلَى مُفْتَشِّي الْمُدِيرِيَّةِ ،  
الَّذِينَ أَهْمَلُوا فِي وَاجِبَاتِهِمْ<sup>(٢)</sup> .

(١) الْمَدِينَةُ هِيَ : أَسِيْطُ ، وَتَعْتَبَرُ عَاصِمَةً لِّلصَّعِيدِ مِصْرَ . انظُر ، مُحَمَّدُ الْبَهِيُّ : حَيَاتِي فِي  
رِحَابِ الْأَزْهَرِ ، طَالِبٌ . وَأَسْتَاذٌ . وَوَزِيرٌ .

(٢) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ، ص ٢٠ .

تضجّر بعضُ أئمةِ المساجدِ ، ومقيمُو الشعائرِ والمُفتشونَ ، وملأوا الدنيا صُراخاً وعويلًا ، متصورينَ أنّ الجزاءَ العادلَ ، الذي وقعَ على أفرادِ قلائلَ ، ممّنَ قصّروا وأهمّلوا في واجباتِهِم، ظلماً وعدواناً .

كان الوزيرُ «البهي» كثيراً ما يردّدُ ، عند ما يُطلبُ منه الدِّفاعُ عن نفسه ، فيقولُ : (إنّ شخصي لا يهْمُ في الموضوع ، ولكنني أخشى من نشرِ هذه الأسبابِ ، فتتلقفها أيدي أعداءِ الإسلامِ ؛ ليُصيّقوها بجميعِ أئمةِ المساجدِ . . . بينما هي في الحقيقةِ مسائلُ فرديةٌ ، وكرامةُ أئمةِ المساجدِ [ والعاملينَ في الحقلِ الإسلاميّ ] أعزُّ عليّ من نفسي ، طالما العملُ [يقصدُ] به وجهُ الله تعالى<sup>(١)</sup> .

نذّرَ «البهي» حياته للدِّفاعِ عن القيمِ السّاميةِ . ماذا تراه سيفعلُ القاضي العدلُ التّزيه ، إذا وصلَ العبثُ والاستهتارُ إلى أمورِ إقامةِ الشعائرِ الدِّينيةِ ، لمثلِ هذا الحدِّ؟! . فقد أرادَ رحمه الله تعالى ، أن يجعلَ هذا الجزاءَ عبرةً لِمَنْ تُسوّلُ له نفسه الانحرافَ والإهمالَ ، فهو يستشعرُ أمانةَ المسئوليةِ ، التي تتمثّلُ في قوله تعالى : ﴿ وَفُؤَهُمْ<sup>(٢)</sup> إِيَّاهُمْ مُسْتَوْلُونَ<sup>(٣)</sup> مَا لَكَرَّ لَآ تَتَّصِرُونَ<sup>(٤)</sup> بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ<sup>(٥)</sup> ﴾ وأقبلَ بعضهم على بعضٍ يتساءلونَ ﴿ الصافات: ٢٤-٢٧ .

تُعرضُ الخلائقُ على الله تعالى يومَ القيامةِ ، ويقفُ الأتباعُ منُ عامّةِ الناسِ إلى جانبِ زعمائِهِم وقاديتِهِم المتبوعينَ ، فيتساءلونَ فيما بينهم ، لماذا لا ينصرُ بعضنا بعضاً كما كنّا في الحياةِ الدُّنيا؟ (وهذا سؤالٌ [يفيدُ] التّوبيخَ والتّقريعَ والتّهكّمَ بِهِم ، [فإنّه] لا يقدرُ بعضهم على نصرَةِ أخيه ، بل همُ اليومَ مُستسلمونَ ومُنقادونَ للعذابِ)<sup>(٦)</sup> .

بمثلِ هذهِ الرُّوحِ الإيمانيةِ العميقةِ ، والصّفاءِ الفكريِّ في المُحاسبةِ النّفسيةِ ،

(١) محمد البهي : حياتي في رحابِ الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص ٢١ .

(٢) محمد محمود حجازي : التفسير الواضح ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٨٨ هـ /

١٩٦٨ م ، ص ٢٣ .

«استطاع البهي» أن يأسر القلوب الواعية للمسؤولية ، ويجد من يتعاون معه ، بل ويشاركه<sup>(١)</sup> في تنفيذ القرارات الصائبة ، بالرغم من الاعتراضات الكثيرة ، المبنية على الأناية الممقوتة ، من أصحاب الأهواء . الذين يستندون على المصلحة الذاتية ، بغير أدنى اكتراث بالقوانين أو القيم الإنسانية ، ومن الشاهد على تلك الصفاقة والحمافة ، ما ظهر في سلوك بعض النفعيين : إذ إنه في عام ١٩٦٤ م ، عندما أُقيل « البهي » من وزارة الأوقاف المصرية ، سرعان ما أحضر أولئك نفر الهزبل من الناس ، إحدى فرق الموسيقى من شارع « محمد علي باشا » ، إلى ديوان وزارة الأوقاف ، تشفياً بهذه المناسبة .

لكنه لم يكثر بتلك السلوكيات المادية الهابطة ؛ لأن تركيزها يقوم على طلب المتعة المادية وحدها ، والبقاء فيها ، والإيمان بها دونما سواها من قيم عليا .

المادية هي الوقوف إذا سعى الإنسان عند حد الذات ، ومطالبتها الذاتية مما تشتهي من متعة النفس والجنس ، أو متعة الجاه والسلطة ، ولا تتعدى ذلك إلى ما يعود على الآخرين بالمصلحة والنفع العام ، التي توصف بالقيم العليا : كالتعاون ، والمشاركة للآخرين في السراء والضراء ، والتواد والإيثار ، وبقية مستمرًا على ثوابته الأصلية ، وقيمه النبيلة .

\* \* \*

(١) كان ممن تعاون وتشارك مع البهي : الدكتور « عبد الحلیم محمود » كان عضواً في مجمع البحوث الإسلامية ، وعمل عميداً لكلية أصول الدين في الأزهر ، والدكتور « علي عبد القادر » نال منصب العضوية في مجمع البحوث الإسلامية ، وكان عميداً لكلية اللغة العربية في الأزهر ، والدكتور « محمد سليمان » الأمين العام للمجلس الأعلى للجامعات المصرية ، بالإضافة إلى أستاذه في الطب الشرعي ، بكلية طب جامعة القاهرة ، وعمل وكيلاً لجامعة الأزهر الشريف . وكان معروفاً في [حسن] دينه ، ونشاطه في عمله ، عرض « البهي » اسمه مرتين لكي يتم تعيينه مديراً لجامعة الأزهر ، ولكنها لم تنجح تلك المحاولات ؛ لأنه من الإخوان المسلمين ، والانتساب إليهم كان تهمة كبيرة في ذلك الوقت . انظر ، محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص ٧٦-١١٣ .

## المبحثُ الرَّابِعُ

### تكوينُ الأحزابِ في مصرَ وموقفهُ منها

مُنذُ مَطَالِعِ القَرْنِ العَشرينِ ، كانتِ مصرُ خاضعةً بصورةٍ مُباشرةٍ للحُكومةِ البريطانيَّةِ ، التي تدخلتْ في جميعِ الشُّئونِ المصريَّةِ داخلياً وخارجياً ، فاتَّجَهَ بعضُ المثقِّفينِ المصريِّينَ والدارسينَ في مصرَ ، وفي أوروبا - وكانَ مِنْهُمُ الَّذي جَدَّبَتْهُ التِّيَّاراتُ الإسلاميَّةُ - إلى إحياءِ فكرةِ الجامعةِ الإسلاميَّةِ ، لتكونَ نِوَاةَ اتِّحادٍ والتقاءٍ بينَ المُسلمينَ ، نظراً لنشوءِ ما تُسمى بالحركاتِ والتِّيَّاراتِ الوطنيَّةِ المُجرَّدةِ ، (ثمَّ [أَنَّ] حركةَ هؤلاءِ وتفاعلاتِهِم [جميعاً] ، هيَ ما عمَلتْ على تشكيلِ الأحزابِ المُختلفةِ في مصرَ من عامِ ١٩٠٧ إلى ١٩١٤ م ، . . . وكانَ مِنْ أهُمِّ ما شكَّلَ حينئذٍ : حزبُ الأُمَّةِ<sup>(١)</sup> ، والحزبُ الوطني<sup>(٢)</sup> [بزعامةٍ من الشُّبابِ الَّذينَ] يَتوقَّونَ إلى لَعِبِ دورِهِم ، في الحياةِ السِّياسِيَّةِ )<sup>(٣)</sup> .

---

(١) حزبُ الأُمَّةِ : تشكَّلَ من الملاكِ الزراعيينِ ، كانَ الحزبُ يرى العملَ من أجلِ الاستقلالِ في إطارِ وجودِ الاحتلالِ ، بالاتفاقِ معه على إنهاءِ وجودِهِ . انظر ، محمود محمد جمال الدين : من تاريخِ مصرِ المعاصرِ ، دار الفكرِ العربي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٢١ .

(٢) الحزبُ الوطني : تشكَّلَ من القطاعِ الأكثرِ ثوريَّةِ ، من البرجوازيةِ المصريَّةِ ، أو الطبقةِ الوسطى « مثقِّفينَ وطلبةَ وتجاراً » ، وكانَ الحزبُ يرى ضرورةَ اللجوءِ مُباشرةً ، إلى مُهاجمةِ الاحتلالِ واقتلاعِهِ من جنوره . انظر ، المرجعُ السابقُ نفسه .

(٣) المرجعُ السابقُ نفسه .

تَكَوَّنَتْ هَيْئَةً قَوِيَّةً لِلْمُعَارَضَةِ ، مِنْ وَطَنِيِّينَ وَمُحَامِيِّينَ وَأَعْيَانٍ ، وَتَزَعَّمَهُمُ «سعد زغلول»<sup>(١)</sup> ، وَأَصْبَحُوا سِيَاسِيِّينَ مُحْتَرَفِينَ . ضَاقَ الشَّعْبُ الْمِصْرِيُّ بِسِيَاسَةِ بَرِيْطَانِيَا وَعَدَائِهَا لَهُ ، مِمَّا دَفَعَهُ إِلَى الثُّورَةِ ، (التي أُعْلِنَهَا فِي شَهْرِ مَارِسِ سَنَةِ ١٩١٩م ، وَامْتَدَّتْ لِتَشْمَلَ سَائِرَ الْبِلَادِ ، وَشَارَكَتْ فِيهَا كُلُّ فَنَاتِ الْمَجْتَمَعِ الْمِصْرِيِّ ، وَقَدْ قَابَلَتْ بَرِيْطَانِيَا ثَوْرَةَ الْمِصْرِيِّينَ بِالْإِرْهَابِ وَإِطْلَاقِ الرِّصَاصِ عَلَى الْمُظَاهِرَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ ، وَحَكَمَتْ عَلَى آخِرِينَ بِالْحَبْسِ أَوْ الْجَلْدِ أَوْ الْغَرَامَةِ [الْمَالِيَّةِ وَالْإِعَادِ] . لَكِنَّ ثَوْرَةَ الشَّعْبِ لَمْ تَتَوَقَّفْ ، حَتَّى اضْطُرَّتْ بَرِيْطَانِيَا سَنَةَ ١٩٢٢م ، إِلَى إِصْدَارِ تَصْرِيْحٍ ، يَتَضَمَّنُ إِعْلَانَ انْتِهَاءِ الْحِمَايَةِ ، وَالاعْتِرَافَ بِمِصْرَ دَوْلَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ ذَاتِ سِيَادَةٍ )<sup>(٢)</sup> .

أَعْلَنَ الْمَلِكُ «فُوَادُ الْأَوَّلُ» فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الدُّسْتُورَ فِي سَنَةِ ١٩٢٣م ، بَعْدَ اسْتِقْلَالِ مِصْرَ مُبَاشِرَةً ، وَتَكَوَّنَتْ الْأَحْزَابُ السِّيَاسِيَّةُ ، لِمُمَارَسَةِ الْحَيَاةِ الْبَرْلَمَانِيَّةِ ، كَمَا كَانَ يَجْرِي فِي الْغَرْبِ ، وَمِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ أَخَذَتِ السِّيَاسَةُ - سِوَاءَ سِيَاسَةِ الْأَحْزَابِ أَوْ سِيَاسَةِ الْقَصْرِ - تَنْجِيهَهُ نَحْوَ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ ، وَتَقْتَرَبُ مِنْهُ ، (لِكِي تَسْتَغْلِلَ سُمْعَتَهُ الْعَالَمِيَّةَ وَمَكَانَتَهُ فِي مِصْرَ ، وَمَوَاقِفَهُ التَّارِيخِيَّةَ فِي السِّيَاسَةِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَأَصْبَحَ هُنَاكَ تَصَارُعٌ بَيْنَ الْأَحْزَابِ السِّيَاسِيَّةِ : الْوَفْدُ ، وَالْأَحْرَارُ الدُّسْتُورِيُّونَ ، وَالْحِزْبُ الْوَطَنِيُّ ، ثُمَّ فِيمَا بَعْدُ دَخَلَ مَعَهَا حِزْبُ الْإِتْحَادِ ، ثُمَّ الْحِزْبُ السَّعْدِيُّ ، فِيمَا بَيْنَ بَعْضِهَا بَعْضًا ، وَكَذَلِكَ فِيمَا بَيْنَهَا مِنْ جَانِبِ ،

(١) سعد زغلول : مصري وطني جمع بين التربيّة المصريّة والثقافة الأزهرية ، وشيئاً من الثقافة الغربيّة ، عين وزيراً للمعارف سنة ١٩٠٦م . التفتّ حوله حزب الوفد حين تكامل تكوينه سنة ١٩١٩م ، وقد ضمّ فئاتٍ مختلفة ممثلين عن الأقباط ، والعشائر البدوية ، وبعض أعضاء الحزب الوطني ، وبعض ذوي المواهب الشخصية من موظفي الحكومة ، وبعض البارزين من أعضاء الجمعية التشريعية . انظر ، محمود محمد جمال الدين : من تاريخ مصر المعاصر ، ص ٣٢ .

(٢) عبد الله عوض الخياص : سيد قطب . . الأديب الناقد ، شركة الشهاب ، الجزائر ، لا . ط ، لا . ت ، ص ٢٧ - ٥١ .

والقصرِ أو «السراي» من جانبٍ آخرَ ، وأضحى علماء الأزهرِ ، بعضهم يتبعُ سياسةَ القصرِ مباشرةً ، أو ضمنَ [ حزبٍ من الأحزاب ] ، وانقسمَ الطلابُ في نشاطهم الخارجيِّ والسياسيِّ ، وتوزَّعوا على هذه الأحزابِ ، على نمطِ ما صنعَ العلماءُ (١) .

لم ترقُ فكرةُ الأحزابِ لدى «البهّي» ، وما وَجَدَتْ عندهُ أُذنًا صاغيةً ؛ بسببِ ما شاهدَ من انقساماتٍ فتويةٍ مقيتةٍ ، تصلُ إلى درجةِ الفتنةِ والتطاولِ والتآمرِ ، بل إن بعضَ رؤساءِ الأحزابِ ، أظهرَ تواطؤه (٢) مع العدوِّ البريطانيِّ ، نكايةً بغيره ورغبةً في الوصولِ إلى مناصبَ يرنو إليها .

عُرِفَ عن «محمَّدِ البهّي» عدمُ انضمامِهِ لأيِّ حزبٍ من الأحزابِ ، أو جماعةٍ من الجماعاتِ ، حتَّى رَفَضَ أن ينخرطَ في حزبِ الدَّولةِ (٣) آنذاك ، بالرغمِ من ذلكَ ، فإنه عُيِّنَ وزيراً للأوقافِ المصريَّةِ ؛ لأهليتهِ العلميَّةِ ونُضجِ استقامتهِ وعِفِّتهِ ، وسلامةِ منطِقِهِ .

---

(١) محمد البهّي : غيوم تحب الإسلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ١٠٨ .

(٢) من الحزبيين الذين أُشغِلوا بالفتن والتواطؤ مع الإنجليز : «إبراهيم الورداني» من الحزب الوطني ، الذي استجاب للفتنة البريطانية ، فقتل «بطرس غالي» تلبيةً لرغبة «كرومر» حيث كان المندوب السامي على مصر سنة ١٩١٠م ، «ومصطفى فهمي» صهر الخديوي «عباس الثاني» كان صديقاً حميماً لـ «كرومر» وكان من الموالين لبريطانيا أيضاً «عدلي يكن» وأتباعه من حزب العدليين ، نسبةً إلى «عدلي» ، ويُطلقُ عليهم برادع الإنجليز ، وهم ضدَّ حزب السعديين ، الذين ينسبون إلى سعد زغلول ، وتكوّن هنا الحزب بعد انسلاخ النقراشي وأحمد ماهر من حزب الوفد ، سنة ١٩٣٦م . . انظر ، محمود محمد جمال الدين : من تاريخ مصر المعاصر ، ص ٢٣-٧٤ .

(٣) حزب الدولة : هو ما يُسمّى «حزب الاتحاد الاشتراكي» ، الذي تبنته الحكومةُ المصريَّةُ في عهد «جمال عبد الناصر» ، وكان «البهّي» يمقت الشيوعيةَ أيضاً . انظر ، محمد فهمي غيث : زيارة خاصة ومقابلة شخصية للباحث ، ٢٣ مايو ٢٠٠٧ .

تُراه مِنْ وَحْيِ حُبِّهِ لِبِلَادِهِ - حينَمَا أُمْسَتْ نيرانُ الفِتَنِ يشتعلُ أوارها في جبهةِ مصرَ الداخليَّة - ينتقدُ التصرفاتِ الحزبيَّة ؛ لأنَّها تحوَّلت إلى أزماتٍ شتى منها : أزمةُ الانقلابِ في المعاييرِ الأخلاقيةِ ، كالتناؤدِ والتدابيرِ ، وسوءِ الظنِّ ، بدلاً مِنْ التواصُلِ والتعاونِ وحُسنِ الظنِّ ، فإنَّ الإنسانَ المصريَّ بوجهِ عامٍّ ، والمُسلمَ بشكلٍ خاصٍّ ، عاشَ - لاسيَّما منذُ نهايةِ القرنِ التاسعِ عَشَرَ وبدايةِ القرنِ العشرينِ - في فترةٍ تكوينِ الأحزابِ (حياةُ التناقُضِ في كثيرٍ ، مِنْ التحوُّلاتِ الحزبيَّةِ الضيِّقةِ ، والتياراتِ الإلحاديةِ الإقليمِيَّةِ والعالميَّةِ ، التي تدعو إلى الانصرافِ عَنِ اللهِ تعالى ، وتحويلِ الإيمانِ باللهِ سبحانهُ إلى الإيمانِ بالإنسانِ ، فالأمرُ والحالُ هكذا جدُّ خطيرٍ ، فالإنسانُ العُلَمانيُّ الذي انصرفَ عَنِ اللهِ تعالى ، وتحوَّلَ إلى نفسهِ . . . لم يَكُنْ انصرافُهُ فجأةً ، إمَّا كانَ في شبهِ يأسٍ<sup>(١)</sup> .

احتدمَ الصِّدامُ النوعيُّ حولَ مُستقبلِ الأحزابِ التقلّيديةِ المصريَّةِ ، بينَ الاتجاهاتِ والقوى السِّياسيةِ العسكريَّةِ والمدنيَّةِ على حدِّ سواءٍ ، بعدَ ثورةِ الضبَّاطِ الأحرارِ في يوليو سنة ١٩٥٢ م ، واستمرتِ الخلافاتُ مِنْ سنةِ ١٩٥٣ م إلى بدايةِ ١٩٥٥ م ، بسببِ تمكُّنِ الاتجاهِ الاشتراكيِّ الديمقراطيِّ ، الذي تولَّى قيادتهُ ، «جمالُ عبد الناصر» ، حيثُ فرَّضَ سيطرتهُ ، فأصبحَ الصِّراعُ يدورُ بينَ أنصارِ هذا الاتجاهِ الاشتراكيِّ ، وبينَ الاتجاهِ الديمقراطيِّ الليبراليِّ ، (بزعامَةِ «محمد نجيب» وقد مرَّ هذا الصِّراعُ بأزمَتَيْنِ ، عُرِفَتَا بأزمةِ فبرايرِ ومارسِ سنةِ ١٩٥٤ م . إذ إنَّهُ لما بدتْ تظهرُ فجوةٌ كبيرةٌ ، بينَ المناصبِ الهامَّةِ التي شغلها «نجيب» ، وبينَ ثِقَلِهِ النَّسبيِّ في صنعِ القرارِ ، قرَّرَ تقديمَ استقالتهِ ، والتي قُبِلتْ في ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٤ م)<sup>(٢)</sup> .

(١) محمد البهي : الإسلام فطرة الله ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ،

لا . ط ، ج ١ ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٧٦ م ، ص ٣٨ .

(٢) صلاح نصر : مجلَّة المصور ، مذكرات كاملة ، بتاريخ ١٧ / ١ / ١٩٨٦ م ، الحلقة

الرابعة ، العدد «٣١٩٧» ص ٢٩ .

انضوى تحت لواء الحزب الاشتراكي الماركسي، غالبية زعماء مصر من السياسيين والاقتصاديين، والعسكريين والمدنيين؛ لأن التوجه العام للنظام الجمهوري الجديد - خاصة بعد العدوان الثلاثي<sup>(١)</sup> على مصر في سنة ١٩٥٦م - بات صوب الاتحاد السوفيتي، الذي يطبق نظام الاشتراكية الشيوعية، وبدأت عملية التصنيف للناس في مصر، على قاعدة من ليس معنا فهو ضيلنا.

فَنَصَبَ أَحَدُ الْمَسْتَوْلِينَ<sup>(٢)</sup> «وهو سامي شرف» شركاً، أراد من خلاله أن يختبر موقف «البهّي» مما يجري في تلك الفترة؛ لذا طلب إليه أن يلقي محاضرة عن الإسلام والاشتراكية. يشير «البهّي» إلى ذلك فيقول: (ووقع في نفسي أن هذه المحاضرة، هي اختبار لموقفي من الاشتراكية الماركسية، وهي التي تطبق هنا في مصر، [منذ عام] ١٩٦١م، وأصررت في المحاضرة على إبراز التضاد، بين الإسلام والاشتراكية)، ومن الغريب أن الموظفين اللذين جاءوا لمرافقتي إلى مبنى المعهد الاشتراكي، [حيث مكان المحاضرة] لم أجد واحداً منهما... . وعدت إلى المنزل مع سائق السيارة وحده، ومنذ [ذلك] المساء لم يتصل بي أحد من ناشر لكتابي، أو من عارض لبرنامج ديني في الإذاعة أو التلفزيون، أو من صحفي في صحيفة يومية أو أسبوعية، يطلب حديثاً أو مقالاً، وشعرت بعزلة تامة عن الضجة الخارجية<sup>(٣)</sup>.

(١) شنت كل من: بريطانيا وفرنسا والكيان الصهيوني، عدواناً ثلاثياً على مصر، في ٢٩ أكتوبر إلى ٧ نوفمبر عام ١٩٥٦م، إثر تأميم «جمال عبد الناصر» لقناة السويس، كما قام المصريون بإغراق سفن ملاحية، عند مدخل القناة، لمنع بريطانيا وفرنسا من تحقيق أي نجاح هناك.. انظر، أنتوني ناتج: ناصر، ترجمة، شاكر إبراهيم سعيد، بيروت، لا. ن، ط١، ١٩٨٥م، ص ٢٨٣.

(٢) وهو من المقرّبين جداً من الرئيس «جمال عبد الناصر» وكان يشرف على معهد الدراسات الاشتراكية في نادي الشمس في القاهرة. انظر، محمد البهي: حياتي في رحاب الأزهر، طالب. وأستاذ. ووزير، ص ١٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٧، ١٣٨.

كَانَ «الْبَهِيُّ» سَعِيداً فِي هَذَا الْانْقِطَاعِ الْخَارِجِيِّ ؛ لِأَنَّهُ وَجَدَ الْوَقْتَ الْكَافِيَ  
لِمُمَارَسَةِ الْفِكْرِ وَالْكِتَابَةِ ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَعْرِضَ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ ، بِشَوْبِ جَدِيدٍ  
مِنَ السُّلُوكِ الرَّاقِي ، وَالخُلُقِ الْقَوِيمِ ، وَالتَّعَامُلِ الْحَضَارِيِّ الْكَرِيمِ .

اشْتَغَلَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ ، فِي التَّفْسِيرِ الْمَوْضُوعِيِّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، لِيَبْقَى  
الْإِسْلَامُ عِمْلِقاً فِي مَوَاجَهَةِ التَّحْدِيَّاتِ الْأَيْدِيُولُوجِيَّةِ الْمَارْكِسِيَّةِ ، وَالرَّأْسْمَالِيَّةِ  
الْمَادِيَّةِ . مُتَمَثِّلاً بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩).

رَدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ الدَّعَوَاتِ الْبَاطِلَةِ ، وَرُؤُوسِ الْأَحْزَابِ الْمَارِقَةِ ،  
الَّذِينَ مَا انْفَكُوا يَكِيلُونَ التَّهْمَ لِهَذَا الدِّينِ ، وَيُشَكِّكُونَ بِصَلَابَةِ الْقُرْآنِ ، فَخَيْرٌ  
لَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا عَلَيْهِ ، فَهُوَ يَقُودُهُمْ إِلَى الْحَقِّ ، إِنْ كَانُوا يُرِيدُونَهُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
أَرَادَ بِالنَّاسِ خَيْرًا ، فَنَزَلَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْمَحْفُوظَ (مِنَ التَّحْرِيفِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ ،  
بِأَنْ جَعَلَهُ مُعْجِزاً مُبَايِناً لِكَلَامِ الْبَشَرِ ، حَيْثُ لَا يَخْفَى تَغْيِيرُ نَظْمِهِ عَلَى أَهْلِ  
اللسانِ . أَوْ نَفِي تَطَرُّقِ الْخَلَلِ إِلَيْهِ فِي الدَّوَامِ ، بِضَمَانِ الْحَفِظِ لَهُ) <sup>(١)</sup> .

فَالْقُرْآنُ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي صَانَهُ وَرَعَاهُ . وَالْإِسْلَامُ دِينُهُ الَّذِي اخْتَارَهُ  
وَارْتَضَاهُ . وَهُمَا يَمُقْتَنَانِ الْوَثْنِيَّةَ بِأَنْوَاعِهَا وَأَشْكَالِهَا ، لَا سِيَّمَا أَنَّهَا تَرْتَكِزُ عَلَى  
الْحَزْبِيَّةِ الْعَمِيَاءِ ، وَتَتَّبَعُ الْأَهْوَاءَ .

• • •

(١) عبد الله بن عمر البيضاوي « المتوفى سنة ٧٩١هـ » : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،  
شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ،  
. ٤٤٤/١